

المحاضرة السادسة

نظرية تعبئة الموارد والحركات الاجتماعية

ظهرت نظرية تعبئة الموارد في سنوات السبعينيات في الولايات المتحدة الأمريكية، في ظل مناخ اجتماعي وسياسي متميز: حركة السود ، الحركات النسوية ، الحركات الإيكولوجية، هذا السياق سيفرض على مجموعة من الباحثين البارزين على غرار Anthony Oberschall ، و John McCarthy و Mayer Zald و Charles Tilly و Doug McAdam موضوع جديداً، وكذلك إعادة مراجعة نقدية لميراث نظريات السابقة التي مرت بنا.

تنطلق نظرية تعبئة المورد من نقد المقاربات السابقة المشتركة حسب رأيها في افتراض أساسي و قوي مفاده أن المظالم المشتركة والأيدولوجيات المتكونة حول أسبابها ووسائل الممكنة للحد منها هي شروط مسبقة مهمة لظهور حركة اجتماعية في مجتمع من المجتمعات. وبهذا تكون هذه المظالم سواء من حيث مداها أو شدتها هي الشرط الضروري الأولي لظهور ظاهرة الحركة الاجتماعية.

بالنسبة للمدافعين عن هذه النظرية هناك ما يدفع لتشكيك في هذا الطرح، إذ بينت العديد من الأعمال الميدانية ضعف الرابطة بين المظالم و بين ظهور الحركة الاجتماعية. و هذا الضعف هو ما قادهم إلى البحث عن افتراض بديل يفسر من خلاله كثافة الحركات الاجتماعية في سنوات السبعينيات و الذي لم يكن سوى دور تعبئة الموارد « هناك دائماً ما يكفي من السخط في أي مجتمع لتوفير الدعم الشعبي لحركة ما إذا كانت منظمة بشكل فعال ولديها تحت تصرفها سلطة وموارد بعض المجموعات النخبوية الراسخة».

إن الحركات الاجتماعية لا تولد من مجرد التوترات البنيوية كما ترى النظرية البنائية الوظيفية لسملسر ، و لا من مجرد السخط الناجم عن الحرمان النسبي كما يعتقد تد جار ، ولكن من القدرة التي يمتلكها أصحابها على تعبئة الموارد الضرورية المختلفة لنجاحها ، ذلك أن الناس لا ينظمون لفعل جماعي مدافع عن مصالحهم إلا إذا رأوا أن وسائل أو بالأحرى موارد نجاحه متوفرة، وهذا يعني أنها ناجمة عن تفكير عقلائي يعطي لعوامل الربح والخسارة دوراً بالغ الأهمية؛ تحتاج الحركات الاجتماعية إلى موارد كي تحقق أهدافها و بهذا الشكل كل حركة اجتماعية ستواجه إشكالية تعبئة الموارد، ومن هنا تأتي على وجه التحديد أهمية البحث السوسيولوجي في هذا المجال، ويمكن تقسيم الموارد التي تسعى الحركة الاجتماعية إلى تعبئتها إلى الموارد الأربع التالية :

1. الموارد البشرية: تحتاج الحركة الاجتماعية إلى من يدعمون قضيتها كما تحتاج كذلك إلى موارد مؤهلة علماء بالبيئة مثلاً ، رجال قانون...الخ.
2. الموارد التنظيمية: تحتاج موارد مادية ، و إلى وسائل تكنولوجية ، وسائل للاتصال...الخ
3. الموارد الثقافية: تحتاج الحركة إلى توظيف رموز و أفكار ، موسيقى ، إنتاج أدبي .
4. الموارد الأخلاقية: تحتاج الحركة إلى مصادر لدعم شرعيتها ، إلى شبكات تعطيها شرعية أخلاقية ، شخصيات دينية، تاريخية...الخ

وإذا كان السؤال الأول يطرح إشكال الحصول على الموارد فإن السؤال الرئيسي للبحث ضمن هذه النظرية الثاني هو كيفية إدارتها ومن ثم طرح قضية كيفية تنظيم الحركة ؟

من هذه اللحظة يصبح التمييز بين الحركة (SM) والتنظيم ضروريا في مقارنة تعبئة الموارد إن «الحركة الاجتماعية هي مجموعة من الآراء والمعتقدات لدى السكان والتي تمثل تفضيلات لتغيير بعض عناصر البنية الاجتماعية و / أو توزيع المكافآت في المجتمع». بينما تنظيم الحركة الاجتماعية (SMO) يقصد به «...منظمة معقدة أو رسمية تحدد أهدافها مع تفضيلات الحركة الاجتماعية أو الحركة المضادة وتحاول تنفيذ تلك الأهداف». فإذا وجدنا مثلا حركة اجتماعية تعنى بتحرير المرأة سنجد تحتها عدد من المنظمات التي تفضل العمل على جوانب معينة في موضوع تحرير المرأة في السياسة ، العمل ...الخ.

إن الرابطة بين التنظيم و الحركة محددة إذا عبر قدرة المنظمة على إيجاد الموارد التي تمنحها للحركة أو للفعل الجماعي وفي هذا السياق يستثمر التنظيم الموارد التي وجدها وعبأها في تشكيل الفعل الجماعي الذي يعبر الأفراد من خلاله على اختياراتهم فيما يخص التغيير المنشود . و عليه تشبه المنظمة المؤسسة الاقتصادية التي تقدم خدمات معينة لزبائن معينين بطلبات معينة ، فمثلا يمكن تشبيه المنظمات التي تعمل في مجال حماية الحيوانات بمؤسسة اقتصادية تقدم خدمات لزبائن المعنيين في هذا الموضوع.

ولكن يجب الانتباه أنها ليست المنظمة الوحيدة التي تتدخل في سوق هذه الخيارات، وكما هو الشأن بالنسبة لأي سوق آخر، على كل منظمة أن تعمل يجد من أجل الحصول على من يتقبل منتجاتها (خدماتها النضالية) ومن ثم الحصول على فوائد، فمن أجل نفس المجموع من رغبات التغيير كحماية الحيوانات، يمكن أن يوجد العديد من التنظيمات المتنافسة والتي ترمي إلى منح أعضائها مواقع مهمة في تطوير الفعل الجماعي.

في هذا السياق التنافسي تحاول كل منظمة تقديم الأفضل من منتجاتها ، وأن تجعل استثماراتها أكثر فعالية ، رامية بذلك إلى التحكم في جزء مهم من السوق المشكل بحركة اجتماعية ما كسوق حماية الطبيعة ، بصيغة أخرى هناك سوق فرعي فيه عرض وطلب حول موضوع عام يتكون حوله قطاع للحركة الاجتماعية Social Movement Sector كقطاع حماية الطبيعة ، أو حماية حقوق المرأة...الخ ، و تحت هذا القطاع نجد صناعات مختلفة للحركات الاجتماعية «Social Movement Industrie» تنشط فيها، فمثلا نجد في قطاع حركة حماية الطبيعة صناعات فرعية مختلف مثل حماية الكائنات لبحرية ، حماية حيوانات معينة و مخصوصة (كالفيلة مثلا)، حماية الغابات و التنوع البيئيالخ و تحت كل صناعة هناك منظمات مختلفة تقوم بتعبئتها من اجل تحقيق خيارات و مطالب المهتمين بها ، و التي عليها الاستفادة من مواردهم و تعبئتها في سبيل ذلك.

أبرز الانتقادات لنظرية

بينت مقارنة تعبئة الموارد الدور الذي يلعبه التفكير العقلاني في تكوين الحركات الاجتماعية ، إن هذه الأخيرة تظهر بالدرجة الأولى نتيجة تقييم أداتي لحجم الربح و الخسارة من قبل الفاعلين الاجتماعيين، و أن من بين عوامل التقييم عنصر الموارد المعبئة و ما تثيره من إشكالات سواء من حيث كيفية الحصول عليها أو كيفية إدارتها.

و لكنها كانت كغيرها من المقاربات السابقة محل عدد من الانتقادات يأتي على رأسها مغالاتها في العقلانية الأداتية للحركات الاجتماعية ، إن تعبئة الموارد تتجاهل ... كيف أن الجهات الفاعلة دائما ما تكون في موضع اجتماعي. إن الأفراد ليسوا منفصلين و متضامين بعلاقات ذرائعية [برغماتية ، مصلحة مباشرة] ... و لكن دائما ما يكونون أعضاء للمجموعات و المجتمعات ، من خلال المشاعر ، و المعتقدات، و الأفكار و القيم حول الهويات المشتركة و الجماعية .